

وأما خُلُقُه رضي الله تعالى عنه فقد تواتر القول بأنه كان محبا في الحق ، مؤثرا للصدق ، وكذلك قام بإحياء الحق والحق إذ ذاك غير موجود العين ، ووعد أصحابه بمواعيد اتضح لهم صدقها اتضح الصبح لذي عينين ، وكان محبا في العدل وأهله ، مبغضا في الظلم وأصله ، جيد الفهم في الغاية من الذكاء ، ⁽¹⁾ يعطي الإنصاف من أهله وغيرهم بالسواء ، ويرثي لمن حل به الجور كل الرثاء ، سهل الانقياد إذا دعى إلى الحق ، لا عوج ⁽²⁾ ولا جموح ، صعب الانقياد إذا دعى إلى الباطل لا مُقَدِّم عليه ولا سَمُوح ، قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا ، لا ضعيف النفس ولا خائفا محسورا ، وكان الدرهم والدينار هينين ⁽³⁾ عنده ، * وكذلك سائر أعراض الدنيا ، كبير النفس ، عالي الطمة ، تسمو نفسه إلى الأرفع من الأمور والأعلى ، حسن العبارة عما في ضميره جدا ، لا يرهقه التعليم تعباً ولا كدا . وهذه كانت أخلاق جده عليه الصلاة .

ولما كانت هذه الأخلاق في النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، ⁽⁴⁾ وذلك كما عَيَّن يخرجان من عين واحدة قال فيه علي رضي الله تعالى عنه : يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخُلُق لا في الخُلُق ، وهذا هو حقيقة التشابه .

وَيَبَيِّنُ مما تواتر أن خُلُقَه رضي الله تعالى عنه لم يكن كخُلُقِ رسول الله ﷺ ، فإذا جميع ما قال علي رضي الله تعالى عنه من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه يصدق كلها على المهدي المذكور رضي الله تعالى عنه . فإذا الثامنة والتاسعة والعاشر قد صدقت .

(1) في الأصل : والذكاء .

(2) كذا ، ولعلها : أعوج أو أهوج .

(3) في الأصل : هين .

(4) في الأصل : السلام .

ويمكن من زوال الاستقصاء عن حديث رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أكثر من مزاولتي أن نجد أحاديث في صفة المهدي رائدة لما ذكرته من بيان وتمهيد ، على أن في ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قالت الأمانة بالسوء :

- أبدعت فيما جمعت ، بيد أنه قد وردت أحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في صفة المهدي ، لا تصدق تلك الصفات على المهدي المذكور . من ذلك : قوله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم « إنه يملك » العرب » ، ⁽¹⁾ وهذا لم يملك العرب ؛ ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل هاربا من أهل المدينة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام » ... الحديث ⁽²⁾

قالت المطمئنة :

- أما حقيقة هذا الاعتراض ، فلا يحتاج الانفصال عنه إلى إغماض . أما ما ذكرته أولاً من أنه قال عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » وذلك لم يملك العرب فقولك إنه لم يملك العرب قول كاذب ، فلذلك لزم عنه كذب ، وذلك إنه قد تواتر القول عندنا إن الأمة الموحدة التي قام فيها ونهى كثير ⁽³⁾ منهم أو أكثرهم من

(1) انظر سنن أبي داود 207/2 .

(2) بقية الحديث كما جاء في المرجع السالف الذكر في الحاشية السابقة (سنن أبي داود 208/2) : « ... »

فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من أهل الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والحية لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبهم ﷺ ، ويلقى الإسلام بحرانه إلى الأرض ، فيلبث سبع سنين ، ثم يتوفي ويصلي عليه المسلمون .

(3) في الأصل : كثيراً .

العرب ، ⁽¹⁾ فإن هذه الصفة هي أجدر أن تكون من الصفات التي يستدل [منها] على أنه المهدي رضي الله تعالى عنه الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم من أن تكون من الصفات التي تدل على خلاف ذلك .

وأيضاً فإنه لو لم يكن في القوم الذين قام فيهم عرب ولا ملك إلى ⁽²⁾ الآن عرباً لم يكن ذلك دليلاً ⁽³⁾ على أنه ليس بالمهدي المبشر به ، لأنه كما تقدمت فقلت إنه سيملك العرب والعجم ، وإن ذلك ينساق له محسوساً لا مدفع فيه ، وإن من قام بالأمر بعده فهو كحياته .

[في الرسالة ⁽⁴⁾ لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب رضي الله تعالى عنه إلى الناس [من] تونس عام قفصة - وقد جرى ذكر استجلابه لعرب رباح وانقيادهم إلى مفارقة إفريقية والجواز إلى الأندلس للجهاد - ⁽⁵⁾ ما نصه :

(1) في الأصل : الغرب .

(2) في الأصل : إلا .

(3) في الأصل : دليل .

(4) هذه الفقرة الموضوعة بين حاصرتين من الواضح أنها ليست من صلب رسالة أبي عبد الرحمن ابن طاهر ، وإنما هي تعليق من مؤلف الكتاب - أي ابن القطان - على ما يتعلق بملك المهدي للعرب تحقيقاً لما بشر به النبي ﷺ في الأحاديث النبوية التي سلف لإيرادها عن ظهور المهدي . وقد أقحم ابن القطان هذا التعليق تدليلاً على صحة ما ذكره ابن طاهر .

(5) يشير المؤلف إلى غزو الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي لبلاد إفريقية وفتحها لقفصة في سنة 575 ، وما تلا ذلك من استنزال عرب قبيلة رباح وإخراجهم إلى الأندلس برسم الجهاد (عن هذه الأحداث انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 252 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب - الجزء الخاص بالموحدين ، ط . بيروت 1985 - ص 140 - 141 ؛ ابن خلدون : العبر 240/6 - 241 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 212 ؛ السلاوي : الاستقصا 147/2) . وقد أشار ابن عذاري فيما كتبه نقلاً عن ابن صاحب الصلاة إلى الرسالة التي وجهها الخليفة الموحد بهذه المناسبة والتي اقتطف منها ابن القطان هذه الفقرة ؛ وهذا وقد كان من بين الرسائل الموحدية التي نشرها ليفي بروفنسال تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » (ط . الرباط سنة 1941) =

« وفي هذه - وفقكم الله - شهادة ⁽¹⁾ بينة ، ودلالة واضحة ، على صحة ما روى عن رسول الله ﷺ من قوله : لا تقوم الساعة حتى يملك العرب رجل مني الحديث ، فذكر عليه الصلاة والسلام العرب تفخيماً لشأنهم ، واعتناء بأمرهم ، وتبهيها على عظيم المنة في ملكهم ؛ وأمر الإمام المهدي هو الذي هداهم وأرشدهم ، ونظمهم على الطاعة وجمعهم ، وقادهم إلى السعادة وجبرهم » .

ففي هذا الفصل من هذه الرسالة يسط لما قرره ابن طاهر ⁽²⁾ هنا وموافقة له عليه [.

فلو خلصت أيتها الأمانة بالسوء [ما] تقدمت فقلت لأعرض ⁽³⁾ إعراضاً ، عن أن تجعل ⁽⁴⁾ هذا اعتراضاً ؛ ويكون على هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » أن يملك جميع أصناف الناس حسبما وعد الله تعالى به في محكم كتابه حيث قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ، ⁽⁵⁾ لأنه إذا ملك العرب الذين هم أعتى الناس أصنافاً وأعسرهم انقياداً ، فأحرى ملك غيرهم ؛ قال الله تعالى : « الأعراب أشد كفرة ونفاقاً » ، ⁽⁶⁾ وهي تتمدح بذلك فتقول : « حي لقاح » ⁽⁷⁾ يعنون بذلك أن الحي

= رسالة كتبها عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أبو الفضل ابن طاهر ابن محشوة في سنة 576 بهاء المناسبة ، ولم يرد النص المنقول هنا في هذه الرسالة وإن كانت فيه عبارات تؤدي نفس معنى ما يشير إليه ابن القطان : « ... وأن الله وعد هذه الطائفة المنصورة - أي الموحدين - أن تملك العرب ، كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ... » (انظر الكتاب المذكور ، الرسالة السادسة والعشرين - ص 125) .

(1) في الأصل : بشهادة .

(2) في الأصل : ابن طاهر .

(3) في الأصل : لا أعرضت .

(4) في الأصل : تجعل .

(5) سورة الأنبياء ، آية رقم 105 .

(6) سورة التوبة ، آية رقم 97 .

(7) يقال « حي لقاح » بفتح اللام - أي لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية ساء ، =

لم يملكوا ولا ملك آبائهم ، ولذلك لا يؤلف بين قلوبهم إلا بأمر إلهي ، كما قال الله عز وجل ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم ﴾ (2)

[29 ب]

وأما إتيانك بالحديث الذي خرج أبو داود رحمه الله تعالى وذكر فيه قصة الركن والمقام توهمين وتغالطين أن الحديث في المهدي - وهل ذكر النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أن ذلك الرجل هو المهدي ؟ أو هل ذكر فيه عن ذلك الرجل ما ذكر في المهدي من كونه من عترته أو « موافقة اسمه اسمي » مما يستدل به استدلالا بينا على أنه عنى به المهدي ؟ وإنما غلطك في ذلك أمران : أحدهما أن وافق لبته للبت (3) المهدي ؛ والثاني أن أبا داود أدخله في جملة أحاديث المهدي رضي الله تعالى عنه ؛ وهل نمنع نحن أن يقوم بالحق أقوام ؟ وأن النبي - صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم - بشر بهم ؟

فإن كنت مغالطة (4) بذلك ، أيتها الأمانة بالسوء ، فقد تبينت مغالطتك ؛ وإن كنت غلطت فإن هذا لمن الغلط القبيح . فلو مارست صناعة القياس بعض ممارسة (5) ، وزاولت ذلك أقل مزاولة ، لما قلت إن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنما أخبر بذلك الرجل عن المهدي لكونه صدقت عليه صفة واحدة من صفات المهدي . وهى اللبث على أنه إن كان ذلك عندك قياسا فبالحرى أن يكون قياسا يصدق عليه من صفات المهدي صفات جمّة . أتركين * الأقوى ، وتميلين إلى الأضعف الأوهى ؟ لقد خرجت من القوم « الذين يسمعون القول ،

[30 أ]

= أنشد ابن الأعرابي :

أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وهذا اللفظ مشتق من لقاح الناقة لأنها إذا لقحت لم تطاوع الفحل وليس يقوى عليها .

(2) سورة الأنفال ، آية رقم 63 .

(3) في الأصل : لبته للبت .

(4) في الأصل : غالطة .

(5) في الأصل : مارست .

فيهمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » (1) « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » (2)

وأما إلزام ذلك لكون إنسان ما أدخله في جملة أحاديث المهدي فهذا إلزام باللفظ لا بالمعنى ، ولسنا بمقاومة هذا الإلزام نعتى ، وبالجملة فكل حديث رواه في مصنف صحيح من قيام إنسان بالحق ووصفه بصفات لا تطابق صفات المهدي رضي الله تعالى عنه فإن ذلك القائم بالحق لم يقل فيه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنه المهدي ولا وصفه بصفات المهدي . وأنا قد بحثت واستقصيت وفحصت ؛ ومن زعم أن المهدي ينزل بيت المقدس فقد زاد في الحديث ما لم يذكر في مصنف صحيح ، وكذلك من قال إنه يخرج من مكة لم يقع في مصنف صحيح .

وأما ما وقع في كتب الحدثن فإن جعلنا ذلك إقناعا فقد وقع بأيدي كثير من أهل هذه الجزيرة (3) - أصلحها الله تعالى وسددها ، ونظمها عجلا بسيرة المهدي رضي الله * تعالى عنه ومهدا - كتاب صغير (4) في جرمه يحتوي على 30 عظام في علمه ، يذكر أن المهدي يخرج بجبل درن ، فيفعل ويصنع ، وعدد أشياء كثيرة صدرت كلها من فعل المهدي رضي الله تعالى عنه ، ووجدت صنعه بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوة ، وذكر أن أتباعه وأنصاره وأشياعه مصمودة ، وذكر أنه سيسبي حتى يبلغ السبي في بلاد البربر أن تباع الجارية البربرية بخمسة دراهم ، وأنه سيجوز إلى الأندلس خليفته ، فيكون ويكون حتى يصل إلى مكة فيبايع بين الركن والمقام . ثم ذكر في ذلك ما جاء مما وردت به الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : « وتكون بيعته بمكة بين الركن والمقام » ، سوى البيعة التي تكون في المغرب ، وقد تقدمت .

(1) سورة الزمر ، آية رقم 18 .

(2) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

(3) يعنى بلاد الأندلس .

(4) في الأصل : كتاباً صغيراً .

فقلت :

لا فرق بينه وبين من قام بأمره بعده ، ولوضوح هذا الأمر وكثرة هذا المعنى قال من لم يثبت في قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ⁽¹⁾ ﴾ إنه أراد شريعته وسيرته ، وقد وردت [في هذا المعنى] ⁽²⁾

« إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ ⁽³⁾ أيها النفس المطمئنة ! نعم ، صدقت وأرشدت ، واستجذبتك البيان فأجذبت ⁽⁴⁾ ! ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ ⁽⁵⁾ وأجذبت منه الغرر والأوضاح ، فأصبح ⁽⁶⁾ الأبي ، وخلص من شوائبه المكنون والمطوي . وتبين أن أبا عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه هو المهدي ، والمجلى عنه غيابة الامتراء والريب ، ذلك لتعلمي أنني لم أخنك بالغيث ، فشأنك لي الآن ، فقد أذعنت لمذهبك إثارة للحق حيث كان ، فأنا لك سامعة مطيعة ، متبعة لما قضى به الرأي الحق ، إذ قد تبين لي أن قولك هذا هو الصدق ، فأنا دي بأهل صوتي : المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي رضي الله تعالى عنه هو الذي بشر به جده صلوات الله تعالى عليه وسلامه ، وهو الإمام الأول والملك على الإطلاق الذي كان ينظر ويؤمل !

فلما رجعت هذه النفس إلى الحق ، وتبين لها بفضل الله تعالى حقيقة القول والصدق ، قمت أنا فحمدت الله رب العالمين ، وصليت على نبيه وعبدته

(1) سورة العنكبوت ، آية رقم 14 .

(2) جاءت هذه الالفاظ الموضوعية بين الحاصرتين في ذيل الصفحة إحالة على الورقة التي تليها ، وقد ضاعت هذه الورقة في خرم يلي ذلك أشرنا إليه بالنقط المتتابعة ، رغم انتظام الترقيم .

(3) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

(4) في الأصل : واستجذبتك البيان فأجذرت .

(5) سورة يوسف ، آية رقم 51 .

(6) أي ذل وانقاد .

خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، إذ صرت بكل في زمرة الموحدين ، دون أن ينازعني منازع مني ، يجيء على شأني ، وكل موافق لكل ، « وسري [31 ب] مساو لجهري .

العلم أرفع شيء اكتسبه الإنسان ، وبه على الحقيقة هو الإنسان إنسان . نبداً أنه اجتمعت علي النفسان ، فقالتا :

- أليس القائم الآن بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أميراً للمؤمنين ، وإماماً للموحدين ، أبو محمد عبد المؤمن بن علي أيده الله تعالى بالنصر والتمكين ؟ قام بالنصر قيام من استبد به وأظهره ، وجد في إذاعته حتى أشهره ، وحارب عن الحق فنصر ، وأبقى عليه فأظهر ، وله من المشاهد الكريمة ، والمآثر المشهورة المعلومة ، ما معرفة الناس [به] ⁽¹⁾ تغني عن الوصف والذكر ، وعسى أن السكوت عنه له أقرب إلى الآخرة ؛ وبالجملته إنه إذ رضيته للامر تلك الطائفة الفاضلة ، والأمة المنصورة العادلة ، وظهر منه الغاية في الاستبداد ، والنهاية في الاجتهاد ، فقطعنا - عقلاً وشرعاً - أن لا أمير سواه ، ولا والي إلا من ولاه .

قالتا لي :

- فما بالك لا تساعدنا فتتحرك إليه ، وتُعجل الورد سريعاً عليه ؟

قالت المطمئنة :

- إذن أنا قد قضيت ، وبينت أن الحق عندهم والهدى ، وأن بهم يستضأ .

قالت النزوعية :

- وأنا قد نزعنا إليهم ، وتشوقت إلى الورد عليهم ! [32 أ]

(1) زيادة يقتضيها السياق .

فما تركاني حتى أجبت لقولهما ⁽¹⁾ ، فالأعمال بالنيات ، ومنتظر الصلاة في صلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انتهت الرسالة ، وهي « الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلا ونقلا » ، والحمد لله رب العالمين كثيراً .

* * *

بيعة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه :

كانت إما في سنة أربع عشرة على قول ، وإما في سنة خمس عشرة على قول كما سيأتي عند الفراغ من هذه المقدمة إن شاء الله عز وجل .

وفاته رضي الله تعالى عنه :

كانت عام أربعة وعشرين وخمسمائة .

عمره رضي الله تعالى عنه :

كان نحواً من خمسين سنة .

مدة بقائه إماماً بعد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

كانت مدة إقامته رضي الله تعالى عنه إماماً بنفسه تسع سنين : بإيجليز ⁽¹⁾ ثلاثاً ، وتينملل ⁽²⁾ ستاً .

إخوته رضي الله تعالى عنه :

عيسى ، وعبد العزيز ، لأب ⁽³⁾ ؛ وأحمد الكفيف ، وأخته شقيقته ⁽⁴⁾ زينب ، وأخته الأخرى لأب .

(1) في الأصل : الجليلين .

(2) في الأصل : ويشتمل .

(3) عيسى وعبد العزيز أخوا محمد بن تومرت المهدي هما اللذان قاما بالثورة ضد عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت ، وذلك حين بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة 549 ، وكان عبد المؤمن غائباً عن مراکش في سلا ، بينما توجه الأخوان من فاس سرا ، فاقتحما مراکش وقتلا عاملها أبا حفص ابن تفرجين ، فأسرع عبد المؤمن بالعودة إلى مراکش . وقضى على هذه الفتنة ، وقتل عبد العزيز وعيسى وصلبهما (انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 195 ؛ والسلاوي : الاستقصا 119 - 120 ؛ وراجع كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 171/1 - 173) .

(4) نعرف عن زينب شقيقة ابن تومرت أنه كان يعيش معها وكانت تنفق عليه من غزوها إبان صباه وأنها شهدت وفاته في سنة 524 (انظر أخبار المهدي للبيذق ص 81 والسلاوي : الاستقصا 92/2 ، وأويشي : تاريخ الدولة الموحدية 26/1 ، 86) .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

هم العشرة المؤثرون الذين يقال لهم « الجماعة » أعزهم الله تعالى .

أصحاب مشورته رضي الله تعالى عنه :

هم أهل الخمسين رحمهم الله تعالى ، وسيأتي ذكر جميعهم بعد إن شاء الله تعالى .

ولا ولد له رضي * الله تعالى عنه ولا زوجة ولا سُرَّة ، لأنه كان رضي الله تعالى عنه حصورا .

هذه هي المقدمة ، فلنرجع إلى الأصل المقصود وهو :

كيفية انعقاد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

فنقول :

قال اليسع :

ولما استوثق الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من قبيلته ومنعة موضعه ، لأنه مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشیها إلا راكب ، بعد راكب ، فيسد ⁽¹⁾ خللها أقل عصبة من الناس ، ولما فيه من التوغر في نفسه - قصد إلى قرية إيجيليز ⁽²⁾ تحتها ركن يستظل تحته على الماء فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت إيجيليز ⁽²⁾ قام فيهم ⁽³⁾ خطيبا ، فقال :

« الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا راداً لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ،

(1) في الأصل : فيصد .

(2) في الأصل : الجليلين .

(3) في الأصل : فيها .

مكانه المغرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم . « وقد ظهر جور الأمراء ، وامتألت الأرض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل ! » ⁽¹⁾ .

قال اليسع :

سمعت أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه يقول : « لما فرغ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له : هذه الصفة لا توجد إلا فيك ، فأنت المهدي ! فبايعناه على ذلك » .

والعشرة المذكورون : الونشريشي ، وعمر آصناج ، والخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، وأبو يحيى أبو بكر بن بجيت ، والاحسن بن علي ، وعمر الهنتاتي ، وفقهه من أهل إفريقية لم أذكر اسمه الآن ⁽²⁾ .

وسمى هؤلاء بالعشرة !

قلت :

ولم أجد في هذه النسخة من كتاب اليسع إلا سبعة ؛ والعشرة عند غير اليسع ⁽³⁾

(1) أشار ابن أبي زرع في إجمال إلى هذه الخطبة ، وحدد تاريخها يوم السبت السادس عشر من رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة (روض القرطاس ص 176) وعنه نقل السلاوي (الاستقصا 90/2) .

(2) هذا الفقيه هو الذي سيشير إليه ابن القطان فيما بعد عند حديثه عن إيقاع المهدي بأهل تينمل ، إذ أنه أنكر ذلك على المهدي فقتل وصلب « لأنه شك في عصمة الإمام المهدي » .

(3) عن أسماء أهل العشرة من أصحاب المهدي انظر : كتاب الأنساب ص 29 ؛ الحلل الموشية ص 108 ؛ روض القرطاس ص 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 420-422 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ص 208-209 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين (ط . تونس سنة 1289 هـ .) ص 4 ؛ ابن أبي دينار القرواني : المؤنس (ط . تونس سنة 1286 هـ .) ص 108 ؛ النويري : نهاية الأرب (الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس - ط . جاسبار رميرو - غرناطة سنة 1919) ص 193-194 ، والسلاوي 83/2-84 ، 90 . وانظر مناقشة هذه الأسماء واختلاف المؤرخين فيها في كتاب أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 101/1-102 .

هم : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو [محمد] ⁽¹⁾ عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، أبو محمد البشير ⁽²⁾ ، أبو إبراهيم الهزرجي ⁽³⁾ ، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي ⁽⁴⁾ ، أبو الربيع سليمان بن الحضري ⁽⁵⁾ ،

(1) زيادة تقتضيها صحة الاسم والكنية .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشرشي المشهور بالبشير ، ذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب نسبه كاملاً وقال إن قرابة البشير كانوا ينتسبون إلى قيس ، ثم أورد اسمه بين أهل العشرة وأحدث عن تمييزه للموحدين (كتاب أخبار المهدي ص 27 ، 28 ، 33 ، 36) ، وقد زادنا البيهقي تفصيلاً عن بدء صلته بالمهدي منذ مرور هذا على ونشريس وبعته له وتمييزه للمخالفين والمتأفقين في سنة 523 واشتراكه في غزوات المهدي (نفس المرجع ص 59 ، 73 ، 78) . وقد فقد البشير في وقعة البحيرة التي هزم فيها الموحدون سنة 524 (انظر كذلك في ترجمته : الحلل الموشية ص 87 - 88 ، 93 ، 95 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 176 - 177 ، ؛ ابن خلدون : العبر 227/2 - 228 ؛ السلاوي : 86/2 - 87 ، 80 - 81 ، 86 - 87 ؛ ابن الأثير : الكامل 297/8 - 298 ؛ ابن خلكان : وفیات الأعيان ، 139/4 - 144 ؛ النويري : نهاية الأرب ص 191 - 193 ؛ وراجع كذلك ما كتبه عنه أويشي في تاريخ الدولة الموحدية 46/1 ، 75 ، 78 ، 80 ، 83 ، 84 ، 101 ، 595/2 - 600 ، 602) .

(3) هو أبو إبراهيم اسماعيل بن يسلاي الهزرجي الذي يلقبه البيهقي بإسماعيل إيجيج ، ويسميه عبد الواحد المراكشي أبا إبراهيم اسماعيل بن يحيى الهزرجي ، أما ابن أبي زرع فيسميه إبراهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وكان من طلبة المهدي حينما كان في أغمات وريكة ثم عهد إليه المهدي بالقضاء وجعله قائداً على هرة في غزواته الرابعة ، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت ، وإليه يرجع فضل إخماد ثورة ضد عبد المؤمن في صفروى ، ويذكر عبد الواحد المراكشي من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاغتياله ، وكذلك فداه لعبد المؤمن بمبيته في خبائه ومصرعه على يد بعض من العبر (انظر في ترجمته وأخباره كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 70 - 75 ، 81 ، 83 ، 85 ، 92 ، 94 ، 99 ، 122 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 303 - 305 ؛ الحلل الموشية ص 108 ؛ السلاوي : الاستقصا 90 ؛ وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 59/1 ، 100 - 101 ، 103 ، 126 ، 135 ، 172 ، 228 ؛ 592/2 - 607 ، 609) .

(4) كذلك ورد اسمه أيضاً لدى البيهقي في كتاب أخبار المهدي ، ويسميه عبد الواحد المراكشي عمر بن عبد الله المعروف عندهم بعمر أزناج ، واسمه الحقيقي كما يقول البيهقي يملوك ابن علي آصناج ، كان وزيراً لعبد بن تومرت ثم كان أحد الثلاثة الذين اضطلوا بمبايعة عبد المؤمن خلفاً له فنجاه هذا عن الوزارة ورأى بقدره عنها إذ كان عندهم فوق ذلك ، وكان لأولاده مكانة عظيمة من عبد المؤمن حتى إن ذريته كانت أول من يعترض في العرض العام وكانت وفاته سنة 536 (انظر كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 78 ، 80 ، 81 ، 85 ، =

أبو عمران موسى بن تمارا ⁽¹⁾ ، أبو يحيى أبو بكر بن يحيى ⁽²⁾ ، أبو عبد الله محمد ابن سليمان ⁽³⁾ ، أبو حفص عمر ابن يحيى ⁽⁴⁾ ، وكان عاشرهم

= 92 ، 123 ؛ عبد الواحد : المعجب ص 262 ، 267 ، 308 ، 422 ، 426 ؛ ابن أبي زرع ص 176 ؛ الحلل الموشية ص 88 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ وقد أشار ليقي برونسفال في تقديمه لكتاب أخبار المهدي (المقدمة ص 10 - 11) إلى أن أبا بكر الصنهاجي البيهقي ربما كان من قرابة عمر آصناج هذا . (وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 87/1 ، 101 ، 105 ، 110 ، 118 ، 125 ، 211) .

(5) اسمه لدي البيهقي : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي وأضاف إلى ذلك أنه شهر بابن البقال وابن تاغظيميت عند أهل آغمات وسليمان آحضري عند الموحدين ، كان من طلبة ابن تومرت في آغمات وريكة ، وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدي ، واستشهد في موقعة البحيرة سنة 524 . هذا ويسميه ابن أبي زرع والسلاوي : سليمان بن مخلوف ، وأما صاحب الحلل الموشية فيسميه إسماعيل بن مخلوف (انظر كتاب أخبار المهدي ص 28 ، 33 ، 70 ؛ روض القرطاس 176 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويشي : تاريخ 101/1 ، 599/2) .

(1) أبو عمران موسى بن تمارا الجديوي أمين الجماعة ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وكان ثلاثة من اخوته من أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 33 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 الاستقصا 90/2 ؛ أويشي : تاريخ 101/1) .

(2) استشهد في وقعة البحيرة سنة 524 ، وقد اختلف في اسمه المؤرخون ، ويتفق كتاب أخبار المهدي مع ما جاء هنا ، ويسميه ابن خلدون « أبا يحيى بن يكت » وابن أبي زرع « أبا يحيى بن يكت » وصاحب الحلل « أبا يحيى أبا بكر بن تنجيت » ، أما عبد الواحد فقد ذكره من أهل الجماعة وقال إنه « رجل من تينمل يعرف عندهم بابن ييجيت - أنا شك في اسمه - » ، وأضاف السلاوي إلى اسمه نسبة « الهنتاني » (انظر أخبار المهدي ، ص 33 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ، روض القرطاس ص 176 ؛ المعجب ص 421 ؛ الاستقصا 90 ؛ أويشي : تاريخ 101/1) ، وكان لابني يحيى هذا ولد ولاء عبد المؤمن على قرطبة سنة 549 .

(3) أبو عبد الله محمد بن سليمان ، كان من أهل آنسا ، وكان يؤم في الفريضة عن إذن المهدي ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وسماه عبد الواحد « عبد الله بن سليمان » وقال إنه من أهل تينمل من قبيلة مسكالة (انظر أخبار المهدي ص 33 المعجب ص 262 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويشي : تاريخ 102/1 ، 105) .

(4) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني المعروف بعمر ينطي ، ويسميه عبد الواحد عمر بن ومزال ، وكان اسمه فصكة فسماه المهدي عمر ، وكان من أقرب أعوان ابن تومرت إليه ، ثم كان من بين من عقدوا الأمر بعد =

13 ب | عبد الله بن ملوية ⁽¹⁾ ، وسيأتي ذكره . « وهؤلاء العشرة هم المسجون بأهل الجماعة .

قال اليسع :

وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا ، فسموا أهل خمسين ، ثم تابعهم سبعون رجلا ، فسموا أهل سبعين ⁽²⁾ ، واختص المذكورون بهذا الاختصاص ، وانعقد لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم إلى أن تسمع بقية عوامهم منهم وتطيع . وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين ، فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضي الله تعالى عنه .

ذلك لعبد المؤمن وهو الذي فتح للموحدين كثيرا من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورندة وإشبيلية وقرطبة وغرناطة ، كما اشترك في أعمال حربية أخرى مهمة منها القضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتوفي في الطاعون الذي أصاب الأندلس والمغرب في سنة 571 ، وهو جد الحفصيين الذين توطدت دولتهم بعد ذلك في إفريقية (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 71 ، 75 ، 89 ، 93 ، 95 ، 97 ، 98 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 117 ، 118 ، 121 ، 126 ؛ المعجب ص 262 ، 267 ، 282 ، 293 ، 337 ، 421 ؛ ابن خلدون : العبر 227/6 ، 279 ، 275 ، 276 ؛ روض القرطاس 176 ، 190 ، 193 ، 198 ، 201 ؛ الحلل الموشية ص 108 ، 146 ، 151 ، 158 ؛ الاستقصا 90 ، 108 ، 143 ، 146 ؛ أويشي : تاريخ 208/1 ، 219 ، 222 ، 230 ، 236 ، 238 ، 239 ، 241 ، 243 ، 249 ، 253 ، 260 ، 269 ، 274 ، 385 ؛ 391/2 ، 394) .

(1) عبد الله بن يعلى أو يعلاتن الزناتي التازي المعروف بابن ملوية ، كان من كبار أعوان المهدي وقواده ، ثم ارتد عن دعوته بعد خروجه من تينملل وانضم إلى جيوش علي بن يوسف أمير المرابطين ، فظفر به وقتل وصلب سنة 527 (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 75 ، 85 ، 122 ؛ الحلل ص 108 ؛ العبر 228/6 ؛ أويشي : تاريخ 84/1 ، 102 ، 106 ، 111) . وسوف يفصل ابن القطان الحديث عنه فيما يلي . انظر ص 162 .

(2) سبق أن علق ابن القطان على ما ذكره اليسع من أمر أهل السبعين إذ قال إنه لا يرى ذلك صحيحا ، ولم يرد ذكر لأهل السبعين في كتاب المقتبس من الأنساب ، وإن كان قد قال بذلك بعض المؤرخين المغاربة مثل ابن الخطيب في كتاب رقم الحلل حسبا نقل عنه السلاوي (الاستقصا 93/2) وصاحب الحلل الموشية (ص 108) فضلا عن بعض المؤرخين المشاركة مثل ابن الأثير (الكامل 298/8) ، والنويري : نهاية الأرب ص 194 .

وأول ما دبرهم به أنه ألف لهم كتاب « التوحيد » باللسان البربري وهو سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة [أيام] ⁽¹⁾ كان الموحدون أعزهم الله تعالى مع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بتينملل .

« وهنا وقائع كانت في أول أمره رضي الله تعالى عنه :

منها وقعة علي بن تابشا اللمتوني ببني وارتانك ⁽²⁾ ، وجهه إليهم صاحب السوس أبو بكر ابن ورييل في جملة من الأنجاد ، فأحاطوا ببني وارتانك ⁽²⁾ وهم غارون ⁽³⁾ ، فقبضوا على مائة رجل منهم أبو الحسن يوجوت بن واجاج ⁽⁴⁾ « من (37) أهل خمسين ، فحملوا إلى تينونين لصاحب السوس ، فسجنهم .

ثم مشت الحصنة التي فعلت هذا من اللمتونيين ⁽⁵⁾ ليضربوا على الملت ان ورغن ⁽⁶⁾ حيث كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ⁽⁷⁾ قبل هذا ، فألفوهم وقد أخذوا حذرهم منهم ، وكمنوا لهم ، فخرجت كائن هرغة عليهم ، واشتد حربهم ، وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم ، وقتل أكثرهم ، وقتل من هرغة نحو

(1) زيادة يتطلبها السياق .

(2) في الأصل : وارتانك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، فقد ورد الاسم على هذه الصورة في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ، وقد علق صاحب الكتاب على ذلك الاسم فقال إن هؤلاء فخذ من أهل تينملل (انظر أخبار المهدي ص 40) .

(3) في الأصل : عارون ، والأصح ما ذكرنا أي غافلون .

(4) في الأصل : يرجوت ، والصواب ما ذكرنا ، وقد أورد هذا الاسم صاحب كتاب المقتبس وأبو بكر البيهقي الصنهاجي من بين أهل خمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 94) .

(5) في الأصل : المتونيين .

(6) في الأصل : الملت ان وزغن ، ولعل الصواب ما ذكرنا ، أي المنسوب إلى هرغة . ومن المعروف أن محمد بن تومرت ينتسب إلى قبيلة هرغة ، وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أنه ولد في ضبعة تدعى « إيجلي أن وارغن » (المعجب ص 245) .

(7) زيادة يتطلبها السياق .

خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهرقة ، فجمعوا غنائمهم ، وطلعوا بها إلى المهدي رضي الله تعالى عنه فكانت أول غنيمة للموحدين أعزهم الله تعالى فيها الخليل .

ومن الوقائع الماثورة في السنة سنة ست عشرة وخمسمائة ...

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى في هذه السنين الثلاث التي استقر فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى بإيجيليز⁽¹⁾ من هرقة :

وجه علي بن يوسف جيشا أمر عليه ابراهيم بن تعيشت⁽²⁾ ، فسلك

(1) في الأصل : بالجليلين .

(2) هو أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف اللمتوني ، ويعرف بابن تعيشت أو تاغياشت ، وهو اسم أمه ، وهي علي ما يذكر ابن عذارى أمة سوداء . كان قد ولي سبتة ثم مرسية قدمه عليها علي بن يوسف بعد عزل أخيهما ابن عائشة عنها بسبب اعتلال بصره بعد صدوره من وقعة البورت Congost de Martorell قرب برشلونة سنة 508 . وكان ابن تعيشت من أعظم قواد المرابطين وله على نصارى الأندلس وقائع كثيرة . ويقول ابن عذارى إنه ولي بلنسية سنة 509 . تولاها مع مرسية ، ثم نقل إلى إشبيلية التي ظل عاملا عليها من شوال سنة 511 (فبراير 1118) حتى جمادي الأولى سنة 516 (يولية - أغسطس 1122) إلا أن ابن الأبار يقول إن أمير المسلمين علي بن يوسف نكبه في سنة 515 واستصفى أمواله وقال انه يظن أن ذلك كان بسبب تقصيره الذي جر وقعة كتندة Cutanda التي هزم فيها المسلمون سنة 514 . ثم انتقل إلى المغرب ، ويبدو أن علي بن يوسف رضي عنه بعد ذلك ، إذ أننا نراه مشتركا مع إخوته وأهل قرابته في الاجتماع الذي عقد علي بن يوسف فيه ولاية عهده لابنه سير في سنة 522 : كما أننا نراه قبل ذلك - في سنة 516 أو 517 - على رأس جيوش المرابطين أثناء قتالهم مع الموحدين في السوس كما نرى من الخبر الذي يذكره هنا ابن القطان وغيره من المؤرخين . ويقول ابن الأبار انه لم يقع على خبر له بعد نكبته ، إلا أنه نقل عن ابن صاحب الصلاة في تاريخه أنه قتل وقل عسكره على طريق سجلماسة بجهة جبل هسكورة ، وذلك خلال الحرب الدائرة بين المرابطين والموحدين ، ويشير ابن خلدون إلى دوره في هذه الحرب ولا سيما في موقعة البحيرة التي هزم الموحدون فيها سنة 524 . ويشير ابن القطان إلى مصرع ابن تعيشت في احدي المعارك الدائرة سنة 528 ، أما البيهقي فإنه يذكر أن مقتله كان في الغزوة التي قاد الموحدين فيها عمر بن علي الصنهاجي (عمر آصناج) في مكان يدعى « تيزي آن الايات » . وقد أنشئ ابن الأبار على ابن تعيشت وعنايته بالعلم والرواية ، وهو الذي أهدي إليه الفتح بن خاقان كتاب « قلائد العقيان » ، كما أنه هو الذي مدحه ابن خفاجة الشفري بكثير مما هو مثبت في =

السوس الأقصى ، وقصد هرقة ، وقد حصن أهلها قلعة يقال لها إيجيليز . ومنعوها أضبط منع . فنزل العسكر عليها من جهة شرقها بمكان وعمر . فخرج الإمام رضي الله تعالى عنه في جملة من الحصن بعد أيام من نزول العسكر عليهم ، فعقد لهم مجلسا وعظهم فيه ، ووجه بعضهم يقاتل ، « فكان إذا جاءه جريح من أصحابه نشطه ورغبه في الشهادة ، ويقول لأصحابه : لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم ، فيعظموها في أعينكم !

فلم يكن إلا أن نزل بأصحابه من أعلى الجبل إلى أسفله يريدون مقاتلتهم والعسكر في جبل آخر يناوحوه ، فانهزموا وتركوا خيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم ، وأنى القوم على جميع أموالهم ،⁽¹⁾ واستحذوا عليها ، وقد كانوا لا درع لهم ولا عدة .

ولما نالوا ما وعدهم به وصدق خبره على وفق مخبره عظم رضي الله تعالى عنه في أعين الموحدين أعزهم الله تعالى ، فكانوا يستحيون عن رفع رؤوسهم نحوه حتى يأمرهم . وشاع ذكر الهزيمة في جميع البلاد ، فهيب أمره ، وكثر المهاجرون⁽²⁾ إليه ، ولم يبق قبيل من قبائل أهل جبل المصامدة إلا وقد هاجر إليه منه ، وأقاموا يفتان بعضهم بعضا ، ومصامدة⁽³⁾ الفحص * مع المجسمين وعلي بن يوسف ، وهم : دكالة ، وهسكورة ، وهزميرة ، وهزرجة ، وجراجة ، وحاجة⁽⁴⁾ ، وصودة .

= ديوانه ، وأشار ابن سعيد في كتاب المغرب إلى كثير ممن اتصل به من الشعراء والكتاب (انظر في ترجمته : البيان المغرب لابن عذارى - القسم المرابطي ص 106 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدفى ، ترجمة رقم 40 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ السلاوي : الاستقصا 87 ؛ البيهقي : أخبار المهدي ص 84 ؛ الحلال الموشة 110 ؛ ابن سعيد : المغرب 397/1 ، 253/2 - 254 ، 287 ؛ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 3 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 24/4 ، 123/7 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي في مواضع مختلفة من الديوان ؛ وانظر كذلك بحث فرانسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » ص 109 - 111 ؛ وأويشي : علي ابن يوسف ... ص 96 ، 105 ، 108 ، 113 - 114) .

(1) في الأصل : أحوالهم .

(2) في الأصل : المهاجرين .

(3) في الأصل : أو مصامدة .

(4) في الأصل : وحاجة .

وأمره رضي الله تعالى عنه في كل يوم يتزهد ، وكتب كتبه إلى جزولة ولطة وهنكية وبنى يغز ودرة وصنهاجة القبلة وهسكورة القبلة وجميع من جاوره يدعوهم إلى الطاعة وحرب المجسمين ، وقد تقدمت نسخة كتابه في السنة قبل هذه (1) .

وسماهم الزراجنة (2) ، شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش ، يقال له « الزرجان » لأنهم بيض الثياب سود القلوب . كما سماهم أيضا « المجسمين » (3) لأنه ألزهمهم في المذاكرة أنهم يقولون بالتجسيم والمكان ، تعالى الله عن ذلك وسبحانه عن صفات النقص علواً كبيراً ؛ ويسمون أيضا « الحشم » للثامهم كما يفعل النساء المتحشمات .

وأمر علي بن يوسف - في هذه المدة التي كان فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بإيجيليز - الفلاكي الأندلسي ، (4) وكان فاتكا شهما تاب من قطع السبل ، فقدمه علي على العساكر ، وسد به ثغوره ، فصنع حصونا ضبط بها ثغوره ،

(1) يبدو أن هذه الرسالة قد سقطت في بعض خروم الكتاب السابقة .

(2) أشار كثير من المؤرخين أيضا إلى هذه التسمية ، ولكن ابن القطان هو الوحيد الذي يفسر لنا أصل هذا الاسم .

(3) ذكر البيهقي في أخبار المهدي (ص 77) مناسبة هذه التسمية ، فقال إن المهدي أطلقها على المرابطين أثناء غزوته التاسعة إلى أسدرم ان الغزي : « ... فقال (المهدي) للموحدين : ما يقولون - بعد أن سمع منهم كلاما من عندهم - ، قالوا له : لقبونا . قال : وكيف لقبوكم ؟ قالوا : يقولون « خوارج » . قال : سبقونا بالقيح ، لو كان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه ، لقبوهم أنتم فإن الله ذكر في كتابه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ... الآية » ، قولوا لهم أنتم أيضا « المجسمون » ففعلنا » . وفي انهام المهدي للمرابطيين بالتجسيم والرد عليهم في ذلك انظر كتابه « أعزما يطلب » ص 258 وما يليها ، وكذلك المقدمة الفرنسية التي كتبها جولد تسيهر لهذا الكتاب ص 65 وما يليها .

(4) كان الفلاكي - على ما يذكر ابن القطان هنا - أحد قطاع الطرق في الأندلس ، ثم استنزله على بن يوسف واتخذ من قواد عسكريه ، واستخدمه أولا في إشبيلية ثم نقله إلى منطقة السوس لقتال الموحدين ، وقد اشترك مع بعض قواد المرابطيين الآخرين مثل ميمون بن ياسين في بناء سلسلة من الحصون لحماية المناطق المحيطة بمدينة مراكش من ناحية السهول الجنوبية وحتى تتخذ قواعد تنفذ منها القوات =

ومنع الموحدين من النزول ، وولى أصحابه عليها ؛ وتمنع من أهل الجبل كل من أطاع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من أداء كل ما كانوا يؤدونه لعلي « بن يوسف » . قال ابن الراعي :

ولما ارتقى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه جبل إيجيليز (1) أقام فيه ثلاثة أعوام : من سنة خمس عشرة إلى سنة ثماني عشرة .

ومن أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى وقبعة هنتانة :

وذلك أنه لما اتصل بأبي بكر بن ورييل ما صنعه هرغة - وفرهم الله تعالى وأعزهم - بعلي بن تابشا وأصحابه أخذ في الاستعداد والتأهب ، وحشد أهل السوس ، وأخذ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في التأهب أيضا ، وحفر جبوب (2) الماء ، وكانت هرغة ومسكالة وسجنانة وقبائل أهل تينمل قد هداهم الله تعالى ، فهم متوازيون ، فوجه نمير بن تجلد بن يملوك مع جماعة وافرة إلى سوس ، فهبط إلى السوس وإلى جبل درن يدعو إلى الله تعالى ، وإلى الحق الذي جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاستجاب له من أهل تلك الجبال جملة منهم جدمية (3) الجبل وهزيمة الجبل وجنفيصة الجبل ومن وفقه الله من أهل جبل درن .

= المرابطة إلى السوس حيث كان يحتجى ابن تومرت وأصحابه ، وقد تحدث عن دور الفلاكي في ذلك كتاب الخلل الموشية (ص 113) ، على أن الفلاكي لم يلبث أن اعتنق مبادئ « التوحيد » وانضم إلى عبد المؤمن هو وأصحابه على ما يذكر البيهقي (أخبار المهدي ص 88) ، ثم عاد فرجع إلى صفوف المرابطيين ، ولكنه لم يستمر معهم طويلا ، إذ عاد إلى خلافة عليهم ، وانضم مرة أخرى إلى الموحدين في إيجيليز هرغة ، ووفد على عبد المؤمن بن علي في تينمل سنة 535 (أخبار المهدي ص 129) ، وانظر كذلك أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 76/1 ، 107 ، 111 . هذا وسيعود ابن القطان إلى الحديث عنه فيما بعد .

(1) في الأصل : الجبلين .

(2) في الأصل : جيوب .

(3) في الأصل : جدمية .

ثم إن هنتانة لما سمعوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وبأخباره اجتمعوا على أبي حفص عمر بن يحيى⁽¹⁾ ووانودين بن يمصيلت وثير بن داود⁽²⁾ وأبي ماغليق قطران بن تارساين وأبي يهدا ومحمد بن يزير وخلف بن والال وسائر أشياخ هنتانة ، فتذاكروا خبر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وما جاء به وما هو عليه من الخير والوعظ ، فأرادوا تحقيق ذلك ، فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر⁽²⁾ ليسبر أمره ، ويخبر رجاله وتواصوا هم وطالب لهم يقال له سكاتو بوصايا في كيفية لقائه له رأوا أنها تنفعهم ، فتوجه إسحاق بن عمر والموحدون أعزهم الله تعالى في ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يقدمهم البشير⁽³⁾ .

« وتطلع ورأى ، وعمل جميع ما أوصوه به ، واجتمع بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، ثم انصرف إلى تيفنوت ، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من رفع المظالم والمناكر والمغارم⁽⁴⁾ ، وقال لهم باللسان الغربي⁽⁵⁾ :

(1) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني المعروف بعمر يتنى (انظر تعليقنا السابق على اسمه وترجمة حياته في ص 127 - 128 حاشية رقم 4) .

(2) إسحاق بن عمر الهنتاني كان من أكابر قواد الموحدين ، وقد تحدث البيهقي عن دوره في الغزاة السابعة لمحمد بن تومرت ، وهي الغزاة التي وجهها المهدي إلى هسكورة ، وقد جرح فيها ابن تومرت وقام بحمله إسحاق بن عمر هذا هو وأبو محمد وسنار (أخبار المهدي ص 76) . وذكر البيهقي في موضع آخر من كتابه أن المهدي دفع إليه جريدة (أى كتيبة) إلى قبيلة ذكالة ، فقتل منهم ستائة « وكان شفيقا عليهم » (أخبار المهدي ص 112) .

(3) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوائشريشي ، وقد سبق أن ترجمنا له (انظر ص 126 حاشية رقم 2) ، وهذا العدد الذي يذكره ابن القطان أقرب إلى المعقول من الأربعين ألفاً الذين ذكرهم ابن خلدون (العبر 228/6) ومن الأربعمائة الذين ذكرهم الزركشي (تاريخ الدولتين ص 4) .

(4) في الأصل : والمغارب .

(5) في الأصل العربي ، والصواب ما أثبتنا ، ويقصد باللسان الغربي اللغة البربرية ، ومن هذه الكلمة أخذت اللفظة الإسبانية Algaravia وهي تعني الضجيج الذي لا يفهم ، وقد كان بعض اللغويين يظنونها تحريفاً لكلمة « العربية » أي اللغة العربية ولكن الصواب هو أنها مأخوذة من الاستعمال المغربي والأندلسي الشائع الذي يطلق كلمة « اللسان الغربي » على اللغة البربرية .

النور * النور في بلاد هرغة ، وأنتم في الظلمة ياهنتية⁽¹⁾ !

فصنعوا طعاما واجتمعوا عليه ، وتعاهدوا وتوجهوا بأجمعهم ، وكانت عساكر السوس والحشم تحركوا إلى إيجيليز وضيقوا على هرغة بحومة وادي إينشو ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه شرع في بناء مسجد إيجيليز ، فأخذ حجرا ليضعه في موضعه ، فسمع الصباح والهرير ، وهو الذي يقولون له « أما ولل⁽²⁾ » ، فسأل عنه ، ف قيل له : وفد هنتانة ! فقال باللسان الغربي⁽³⁾ ما معناه : فتجدد الأمر اليوم ! فوضعوا القيسان من أيديهم ، وخرج إلى هنتانة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاجتمع بهم ودعا لهم ، وقال لهم : استريحوا ! فقالوا : لا راحة لنا حتى نأخذ عزوى⁽⁴⁾ هذا العدو ! فاستأذن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في ذلك ، فقال لهم : هذا وقت الظهر ، فتوضأوا وصلوا ، فإذا قضيت الصلاة فخذوهم على بركة الله تعالى !

فأصعدوا⁽⁵⁾ الجبل حتى صاروا بحيث لا يفصل بينهم وبين مناهدهم من الموحدين * أعزهم الله تعالى إلا خندق كبير ، فاتفق رأيهم على أن يردموه (16) ببرادع الدواب ليتأتى لهم جوازه ، فلم يمهلهم جماعة الموحدين أعزهم الله تعالى : هنتانة ومن تقدم ذكرهم ، فقتلوهم وهزموهم وأخذوا خيلهم وأسلحتهم وأسلابهم ،

(1) صحح ليفي بروفنسال هذه الكلمة عند نشر هذا النص بـ « هنتانة » . ونظن أن هذا تصويب ليس له ما يبرره ، فقد ذكر ابن خلدون (العبر 227/6) أن هنتانة يقال لهم بلسانهم « هنتى » ، فيكون ما ذكره ابن القطان - على الصورة التي ضبطنا الكلمة بها - صحيحا متفقا مع نطق الهنتانيين لاسم قبيلتهم .

(2) تطلق هذه الكلمة على مختلف ألوان الضجيج والصياح ؛ انظر تعليق ليفي بروفنسال عليها في القطعة التي نشرها من « نظم الجمان » (Mélanges.. p. 379, n.1) .

(3) في الأصل : بلسان العربي .

(4) يراد بهذه الكلمة في الاستعمال المغربي الدارج حتى الآن معنى النار أو الانتقام .

(5) في الأصل : قد صعدوا . والمقصود بضمير الجمع هنا عساكر المرابطين .

وفتح الله للموحدين أعزهم الله تعالى فتحا عظيما ولم يرجع عن عسكر الحشم إلا من تأخر أجله .

وإن أبا الحسن يوجوت بن واجاج⁽¹⁾ مع الجماعة المسجونين معه من بني وارتانك⁽²⁾ بتيونين قاعدة السوس حينئذ كما قد مر ذكره من سجنهم عند اشتغال السوسي أنى بكر بن ورييل والحشم بهذه الحروب فروا من السجن ، ولحقوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه .

ومنها وقعة أي ما غليف⁽³⁾ وهنتاة بهم في بلاد هنتاة :

وذلك أنه لما اتصلت هزيمة المثلثين بإيجيليز⁽⁴⁾ من هرغة بعلي بن وسف اغتم غما شديدا ، وجيش عسكراً مختارا ، وقدم عليهم سير بن فودي وأبا مسعود والريتسيغ بن بقور ومهدي بن توالي مع حشد حاحة وجميع أنحاء إذفرجال ، وقال لهم علي بن يوسف : اقصدوا إلى تيفنوت وأحرقوها بالنار ! فاجتمعت العساكر ، وأخذوا على طريق لجاعة ، وشقوا واد نفيس ووسط الجبل يريدون تيفنوت ؛ واتصل الخبر بالإمام رضي الله تعالى عنه ، * فجمع هنتاة ، وقال لهم : تداركوا بلادكم فإن الكفرة قد قصدت إليكم ، فخذوهم على بركة الله ! فودعوه ودعا لهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

فلما أشرفوا همز أبو ما غليف فرسه وكبر وقال : ابتدأت سواقي جرى الماء بالخير والبركات إلى بلادنا ! ، ثم قال لهم : يا هنتاة ، أنا أرغب إليكم أن

(1) سبقت الإشارة إلى أبي الحسن يوجوت بن واجاج هذا وخبر وقوعه هو ومائة من أصحابه من بني وارتانك في قبضة عامل السوس الماربطي أبي بكر بن ورييل وسجنهم في تيونين (انظر ص 129 ، حاشية 4) .

(2) في الأصل : وارتارك .

(3) في الأصل : مغاليف .

(4) في الأصل : بالجيلين .

تقدموني للرأي في هذا النهار لا غير ، ولا يشركني⁽¹⁾ معي أحد ، فقالوا له : نعم ، لك ذلك ، لأنك شيخ عارف بالأمور . فقدموه في ذلك اليوم ، فتخير⁽²⁾ أنجاد فرسانهم ورجالهم ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أعطاهم خصتهم⁽³⁾ من غنيمة وقعة إيجيليز⁽⁴⁾ المتقدم ذكرها من الخيل وال سلاح والسلب ، فتقروا بذلك . وأخذ بهم أبو ما غليف طريقا سلكه خرج منها أمام أعدائهم ، فقتلهم أجمعين ، واحتوا على سلبهم ، حتى لتحصل لأحد هنتاة صاع⁽⁵⁾ ممسوح مملوء من دنانير ، وقتل سير ابن فودي⁽⁶⁾ وأبو مسعود وريتسيغ بن بقور وغيرهم⁽⁷⁾

* أعزهم الله تعالى وغنموا أموالهم .

واتصلت الأنباء بالموحدين أعزهم الله تعالى أن الحشم فيمن انضاف إليهم من بني واوزجيت⁽⁸⁾ وغيرهم يتبعونهم ، فتربصوا بتادرات⁽⁹⁾ حتى اجتمعوا بهم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة فتح الله تعالى فيها لأولياؤه الموحدين أعزهم الله تعالى ،

(1) في الأصل : يشركه .

(2) في الأصل : فتحير .

(3) في الأصل : خصتهم .

(4) في الأصل : الجليلين .

(5) في الأصل : صاغ .

(6) في الأصل : فول .

(7) عن هذه الوقعة انظر أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 80/1 .

(8) بنو واوزجيت المذكورون من أفخاذ أهل تينمل على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 41) ، وكانوا من أول من استجابوا للمهدي واعتنقوا دعوته قبل وصوله إلى تينمل (أخبار المهدي ص 72) ، ولكنهم ثاروا عليه بعد ذلك ، فأوقع بهم ابن تومرت وعبد المؤمن عدة وقائع . ويسمى ابن خلدون هذه القبيلة « بني واسكيت » (العبر 228/6) .

(9) تادرات لإحدى مدن السوس تقع إلى شرق تينمل ، وقد ذكر البيهقي أن المهدي بنى فيها مسجدا (أخبار المهدي ص 71 - 72 ؛ وكذلك أويشي : تاريخ 60/1) .

وهزموهم وقتلوا جميعهم ، ⁽¹⁾ ومات في تلك الوقعة العمران ، ⁽²⁾ وعمر بن ديان ⁽³⁾ ووصل الموحدون أعزهم الله تعالى إلى أنسا ، ⁽⁴⁾ والتقوا مع الحشم هنالك ، واستشهد من الموحدون أعزهم الله تعالى من كتبت عليه الشهادة ، وجاز الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى جبل درن ، فاحتوى على تلك البلاد كلها من بلد تاصبوت إلى بلد ماغوصه ⁽⁵⁾ إلى بلد جنفيسة حتى وصل إلى واد يسان ، ومكث هنالك مدة حتى غزا تلك البلاد كلها ، ورجع حتى وصل تاصبوت ، ⁽⁶⁾ وجاز إلى تادارت أيضا ، فأغار الموحدون أعزهم الله تعالى عليها ، وقتلوه قتلًا ذريعًا . وجاز إلى حصن أوصليم ⁽⁷⁾ فحصره الموحدون أعزهم الله تعالى مدة ، ثم رحل عنه الإمام رضي الله تعالى عنه إلى بلد إنسوال ⁽⁸⁾ . ونهض إلى بلد غجدامة ⁽⁹⁾ إثر غدرهم للشيخ أبي محمد عطية ⁽¹⁰⁾ رحمه الله

- (1) عن هذه الغزوة وغزوة أنسا التي تليها انظر البيهقي أخبار المهدي ص 76 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ، وأوبى : تاريخ 70/1 - 71 ، وقد حدد هذا الباحث الأخير تلك الأحداث بسنة 517 .
(2) لم نهد إلى من يقصده ابن القطان بذكر هذين « العمرين » ولعلهما كانا بعض القواد المرابطين .
(3) في الأصل : عمر بن ديار - والتصويب عن البيهقي الذي نفهم من حديثه عنه أنه كان من قواد المرابطين معتصما بحسن أنسا ، وقد أشار البيهقي إلى هزيمته المشار إليها هنا في الكلام عن الغزاة الخامسة لابن تومرت (انظر أخبار المهدي ص 76 ، 128 ؛ وكذلك أوبى : تاريخ 70/1 - 73) .
(4) هو الحصن الذي يسميه البيهقي « أنسا بني إيماديدن » (أخبار المهدي ص 128) .
(5) يسميها صاحب كتاب المقتبس ماغوسة (أخبار المهدي ص 42) وجاءت في موضع آخر باسم « موغوصة » (نفس المرجع ص 43) ، وهم فخذ من جدميوة كان يطلق عليهم اسم « جدميوة الجبل » ، وقد ذكر البيهقي أن المهدي غزاهم وفتح بلادهم في سنة 518 ، ولعله يعني نفس هذه الغزوة (أخبار المهدي ص 132) .
(6) في الأصل : ياصبوت ، وقد وردت قبل ذلك بقليل كما أثبتنا .
(7) لعل هذا الحصن هو المذكور في كتاب البيهقي (أخبار المهدي ص 132) باسم « أوصليم بني واوم غمي » ، وسيشير إليه ابن القطان مرة أخرى قائلا إنه يقع في بلاد جلاوة .
(8) ربما كانت إنسوال هذه هي التي ذكرها صاحب كتاب المقتبس باسم « سؤالة » ، وقال إنها أحد أفخاذ صنهاجة الظل (أخبار المهدي ص 46) .
(9) في الأصل : عجرامة ، وقد أثبتنا ما جاء في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (ص 44) وقد ذكر في هذا الموضع أنها من أفخاذ هسكورة الظل . وسماها ابن خلدون « عجرامة » (العبر 228/6) .
(10) أشار البيهقي إلى هذه الغزوة في أحداث سنة 522 ، إذ قال إن المهدي أرسل طلبية الموحدون إلى =

تعالى ، وكان غدرهم له وهو في مصلاه ، فاستباح الموحدون أعزهم الله تعالى بذلك دماءهم وأموالهم .

وقفل الإمام المهدي « رضي الله تعالى عنه راجعا إلى تينملل كرمها الله ⁴⁶ 1 تعالى ، واستوطنها .

وقال اليسع بن أبي اليسع في استيطان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه لتينملل :

إن أهل مدينة تينملل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل ، وأن مجيئه ⁽¹⁾ وسكنائه عندهم أصلح له وأقرب من تسامع الناس به ؛ فرحل إليهم رضي الله تعالى عنه بجميع من أطاعه . وحصل بتينملل ، وأكرمه أهلها وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه ، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدتهم مآراقه .

فكان يخرج إلى الشريعة ⁽²⁾ من خارجها . ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة ، فيعظ الناس ، وكانت قبيلة هزميرة يمسكون العدة فقال لهم الإمام يوما : مالكم تمسكون العدة . وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا ، وقد كان الإمام رضي الله تعالى عنه خاف من جبهتهم لكثرتهم ومنعتهم ، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم ، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة ، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضى عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم ، فقتل منهم في ذلك « اليوم نحو من خمسة عشر ألفا ⁽³⁾ » ، وقتل من ذلك ⁴⁷ 1

= قبايلهم ، وكان من هؤلاء أبو محمد ابن عطية المنجصي : أرسل إلى عجرامة ، فتوفي شهيدا في هذه السنة (انظر ص 132) ، وراجع كذلك ابن خلدون : العبر 228/6 .

- (1) في الأصل : مجيئه .
(2) ذكر دوزي في « ملحق القواميس العربية » تحت هذه المادة (748/1) أن لفظ « الشريعة » كان يطلق في الاستعمال المغربي على القاعة المخصصة لإلقاء الدروس والمواعظ في المساجد .
(3) يبايض في الأصل بقدر كلمة .

القبيل كل من حضر في ذلك اليوم تينملل ، وسبى حرمهم ، وغنمت أموالهم ، فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه ، وأصفى ديارها جوائز جوائز : لكل جائزة قبيلة ⁽¹⁾ .

ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهبتها ، وبنى على رأس الجبل سورا ، وأفرد في قبته حصنا يكشف ما وراء الجبل ⁽²⁾ .

قال اليسع :

ولا أعلم مدينة أحصن [ولا أمنع] ⁽³⁾ منها ، إذ أنها بين جبلين لا يدخلها الفارس إلا من شرقها وغربها . فأما غربها فطريق أوسع ما به ما يمشى عليه الفارس وحده . وأضيقة ما ينزل عن فرسه خوفاً من سقوطه ، لأن الطريق مصنوعة في نفس الجبل ، تحت راكبها حافات ، وفيها مواضع مصنوعة بالخشب ، إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ، ومسافاتها على هذه الصفة نحو من مسيرة يوم ؛ وكذلك من شرقها ، وهي طريق مراکش ، على صفة الغربية ⁽⁴⁾ .

وقد اتفق لهم فيها أنهم تركوا في أول الحال عسكرياً دخل إليه الطريق الشرقية مع « البربر » ⁽⁵⁾ وكان من أقماط ⁽⁶⁾ الروم فأسلم ، وكان * ⁽⁷⁾

(1) كذا ، وهو يعني : لكل قبيلة جائزة . هذا وقد نقل خبر هذه الواقعة عن اليسع - فيما يبدو - ابن الأثير (الكامل 296/8 - 297) والنويري (نهاية الأرب - ط . جاسبار رميرو - ص 190 - 191) . كذلك أشار إليها صاحب الحلل الموشية إشارة عابرة (ص 112) . وانظر أويشي : تاريخ 71/1 - 73 .

(2) في وصف تينملل ومدي ما هي عليه من حصانة انظر H. Terrasse & Basset : Sanctuaires et Fortresses almohades ، p . 37 ss . وكذلك Ferriol : Les Ruines de Tinmel ، Hesperis ، 1922 ، pp . 162 - 163 (أطلال تينملل) وكتاب أويشي : تاريخ 73/1 - 74 .

(3) كلمتان مطموستان لا تستبين منهما إلا بعض الحروف .

(4) في وصف الطريق المؤدي إلى تينملل انظر الإدريسي : نزهة المشتاق ص 64 ، وكذلك بحث تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية ص 35 .

(5) في الأصل : البربرتين ، وهو تحريف أصلحناه بما أثبتنا ، وكان قائداً مسيحياً أندلسياً من =

وما يريدونه من النزول إلى البسائط ، ⁽¹⁾ (2) العسكر الطريق هبطوا من أعلى الجبل عليهم ، فلم يفلت منهم إلا من كان في بطن الوادي .

ولما قتل الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه أهل تينملل آخى بين أصحابه ⁽³⁾ ، وكان يبعث بعوثه إلى المواضع التي تليه من ناحية سوس ، وهي قبيلة ⁽⁴⁾ تينملل ، فيغيرون عليها ، فيسبون ويقتلون ويغنمون ، وفي كل يوم يتزايدون ويصلون أفواجا إلى دين الله تعالى فيدخلون .

- فواد أمير برشلونة Barcelona وأرغن Aragon ومن كبار رجالات دولته ، ثم وقع في أسر قائد البحر المرابطي علي بن ميمون ، فوجهه هذا إلى مراکش حيث اعتنق الإسلام ولزم خدمة الأمير علي بن يوسف ، فوالاه سلطان المرابطين قيادة الجيش المسيحي المرتزق الذي خدم تحت لواء المرابطين في محاولاتهم لإخماد ثورة الموحدين ، وكان اسم هذا المنصب « قائد الروم » ، وقد أبلى « البربر » في قتال الموحدين بمنطقة السوس بلاء حسناً حتى قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضد الموحدين في سنة 539 . أما اسمه فهو اسم إسباني تعرفه المراجع الإسبانية على هذه الصورة : Reverter ، وقد كان للبربر هذا ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وأصبح من أكابر رجال دولتهم ، وإليه يرجع الفضل في انتزاع جزيرة ميورقة Mallorca من أيدي بني غانية ، وقد قتل علي هذا في إحدى المعارك سنة 583 (انظر عن أخبار البربر وحياته ابن خلدون : العبر 230/2 - 231 ؛ البيهقي : أخبار المهدي ص 86 - 88 ، 95 - 96 ؛ وتعليقات ليهي بروفنسال في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب ص 139 ، 155 ؛ ورنهارت دوزي : Recherches... II, pp . 437 - 442 ومقال الدكتور حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد سنة 1955 ، ص 102) . هذا ونلاحظ أن ابن خلدون يسميه « الروبرتر » بينما يسميه البيهقي « البربر » .

(6) جمع « قمت » وتكتب أيضاً « قومس » Comes (بالإسبانية Conde ، وبالفرنسية Comte) ، وهو اللقب المعروف « الكونت » .

(7) في الأصل موضع ثلاث كلمات مطموسة طمساً كاملاً ، والمقصود كما يتبين من السياق : « وكان يحول بين الموحدين وما يريدونه .. الخ » .

(1) في الأصل : البساط ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(2) في الأصل موضع كلمتين مطموستين ، ولعلهما « فلما ساد العسكر الطريق ... الخ » أو شيء في معناها .

(3) أورد صاحب كتاب المقتبس فضلاً طويلاً عن هذه « المؤاخيات » التي قام بها المهدي بين أصحابه وأنصاره (انظر أخبار المهدي ص 37 وما بعدها) .

(4) كذا ، والمعروف أن أهل تينملل لم يكونوا قبيلة واحدة ، وإنما كانوا قبائل شتى يجمعهم =

وكان رضى الله تعالى عنه أثبت في العشرة الفقيه الإفريقي ، ⁽¹⁾ فلما قتل أهل تينملل أنكر ذلك ، فقتل وصلب ، لأنه شك في عصمة الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

وكان مبتدأ هذه المحاولات ⁽²⁾ في سنة ثمانى عشرة . وكأنها كلها كانت فيها أو في التي بعدها ، لم يبينوا ذلك ، وكأن الأول أظهر الأمرين .

* * *

أخبار غير الموحدين أعزهم الله تعالى :
من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى .

في هذه السنة توفي أبو الحسن موسى * بن عبد الصمد ⁽¹⁾ ، والفقيه أبو بكر ابن عطية الغرناطي ⁽²⁾ ، وقاضي قبة أبو عبد الله الموروري ⁽³⁾ ، والمشرف أبو محمد ابن مالك ⁽⁴⁾ .

ومن ذلك قتل الأفضل صاحب الأمر ، فقد قيل إنه كان في هذه السنة ، وقد قدمناه في سنة أربع عشرة ⁽⁵⁾ مع ما ذكره ابن حمّاده ⁽⁶⁾ .

(1) هو أبو الحسن موسى بن عبد الصمد بن موسى البكري القرطبي ، ولد سنة 466 وروى عن أبيه وعن أبي مروان ابن سراج وغيرهما ، وتقلد أحكام القضاء بقرطبة مع الشورى ثم صرف عن ذلك ، وله رحلة حج فيها وكتب كتباً رواها ، وقد سمع منه في المشرق ، وتوفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1440 . ط . مدريد ، وانظر ص 577 ، الهامش من طبعة القاهرة) .

(2) أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية الحارثي الغرناطي ، ولد سنة 441 ، وروى عن أبيه وغيره ، ورحل إلى المشرق سنة 469 فسمع صحيح مسلم وسمع بالمهدية صحيح البخاري ، وكان حافظاً للحديث وطرق علله وأسماء رجاله وكان شاعراً لغوياً ، توفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 981 ؛ والفتح بن خاقان : فتلاند العقيان ص 205 - 206) .

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري ، وأصله من سرقسطة ، سكن قرطبة ، وله رواية عن الباجي وأبي محمد ابن فورتنش والعذري وغيرهم ، عني بالقراءات وجودها ، وحدث عنه أبو عبد الله بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة ، وتوفي بقرطبة سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1265 ؛ وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 89) .

(4) ذكره ابن خاقان في فتلاند العقيان (ص 169 - 170) ، وسماه « الوزير المشرف » وقال إن أمير المسلمين (أي علي بن يوسف) ولاه شرق الأندلس عند ما كثرت فساد ، فاستقل بعمله أحسن استقلال .

(5) سبق أن علقنا على ما ذكره ابن القطان حول مصرع الأفضل (انظر ص 79 ، حاشية رقم 2) ، وقد جعله المؤرخ في سنة 514 وإن كان قد أورد الخبر في ذكر أحداث سنة 515 ، والواقع أن مقتل الأفضل كان في سنة 515 المذكورة لا في 514 ولا في 518 كما نرى من اضطراب ابن القطان بين التاريخين ، ولعل المؤرخ خلط بين الأفضل والذي خلفه على الوزارة وإمارة الجيوش بمصر وهو أبو عبد الله المأمون بن البطائحي ، إذ أن الأمر لم يلبث أن قبض عليه وقتله هو وأخاه المؤمن بعد أن استصفى أموالهما ، وحتى ذلك إنما وقع في سنة 519 لا في السنة السابقة (انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 229/5) .

اسم هذا الموضع كما قال عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 323) ؛ ولهذا ربما كانت هذه الكلمة عربياً للفظ « قبة » أي الواقعة إلى جنوب تينملل .

(1) هو الفقيه الإفريقي الذي سبق أن نبه إليه ابن القطان عند حديثه عن أهل العشرة قائلًا إنه « لا يذكر اسمه الآن » (انظر ص 125 ، حاشية 2) ، ولم يورد اسمه صاحب كتاب « المقتبس » عند إيراد أسماء هؤلاء العشرة .

(2) قد تحتمل أيضاً أن تكون « المحاولات » .